حلف الإجهاز على القضية

أ. عبد الرحمن

القدس كانت البداية التي استشهد من أجل الدفاع عنها من استشهد ، وهي النهاية التي ارتدت إليها كل الأبصار حسيرة بعد أن جربنا كل الوصفات الفكرية والعقائدية والسياسية وارتمينا في الأحضان الشرقية أولاً ثم الغربية ، القدس هي المحور الذي دارت عليه آمال شعوبنا فاحتملت كل ما نزل بساحتها من ظلم وتعسف وتلاعب بمصائرها ، وهي اليوم المشجب الذي يحاول نفس الظلمة والمتلاعبين والمتعسفين أن يعلقوا عليه فشلهم وتقاعسهم وانحرافهم وامتهانهم للإنسان العربي ، والتاريخ العربي ، والأمانة العظمى التي خانوها بألف طريقة ، وجاؤوا الآن يريدون أن يعيدوا هذه الكرة الملتهبة إلى الأطر المتفسخة القديمة التي ساهموا وبفاعلية في تدميرها وتفريغها من محتوياتها وجعلها خواء من الفعل والشرف والكرامة ، وليس إلا أن نراجع المهزلة التي تمت في " أغادير " وأن نراقب في

أمانة تفاصيل الكلمات التي ألقيت ، وما ارتسم على وجوه القوم من تعابير ، وما أخفت صدورهم من مشاعر الخوف من أمريكا ، أو الخجل من التاريخ ، أو اليأس من شعوبهم ، أو الاحتكام إلى هذا الواقع المر ؛ واقع الضعف العاجز والتشرذم السقيم .

ستون عاماً من حروب وثورات ، وصولات وجولات ، وحركات تصحيحية وفاتحية ، وشعارات قومية ووطنية مفروضة بالبطش وقوة النار والحديد التي ساعدتها على " التفرعن " - من فرعون - في أرضنا استكانة الجماهير وتشبثها بحياة الذل ، الذي نفضته عنها شعوب لا هوية لها ولا رسالة خالدة كشعوب البيرو وتشيلي والهند والتيبت وكولومبيا !! .

ستون عاماً وحلف الحاكم والمحكوم في بلادنا ماض نحو الإجهاز الكامل على القضية باسم القضية ، فاجتماعات وتفاوض وصفقات سرية وعلنية من جهة الحاكم ، وصمت مهين واستكانة وذل مكعب وتمشية للحال من قبل الشعوب ، ستون عاماً ونحن نمارس في كرم خجل تعاليم سيدنا المسيح عليه السلام ، فنمنح كل يوم ألف مرة خدنا الأيسر لمن يصفعنا على خدنا الأيمن مرة .. ستون عاماً نبرر لأنفسنا تقاعسنا بقوة العدو

الذي لا يقهر ، وصغارنا بما يملكه من قنابل نووية .. لو استعملها لأراحنا وأراح الأرض من خنوعنا العفن .

ستون عاماً من تحالف معاول الهدم مع أسباب النخر الداخلي ، ستون عاماً من ترسيب القضية التي لا تقبل التذويب ، وها نحن وقد بعثت فينا النعرات الطائفية من سباتها العميق ، واستيقظت أشباح القوميات التي كانت هاجعة في شرق الأمة وغربها ، ستون عاماً ونحن نرقب المطر الذي كان رذاذاً فلما أقلعت السماء كاد يصبح دماراً فارتفع السيل ، وطغى ، ونحن في نوافذ الانتظار نفصص بزر البطيخ ، ونرقب الزبد الذي بدأ يعلو مع غثائه .. ونقول إنه ما زال بعيداً ولن يصيبنا ، عارض ما زال .. ولن يبلغنا ، لكن معركة السلام تمخضت عن جولة استسلام مضنية مهينة ، استبدلنا فيها رضى المجتمع الدولي ، المتمثل بالدول الغربية المهيمنة على مقاليد السياسات العالمية ، بالمشروعية الوحيدة التي بقيت في أذهان الأجيال ، التي شبت على مقولات سلام لم توفر للمواطن العربي أي بديل من البدائل المزعومة .. لا حق ولا كرامة ولا نمو ولا حرية ، وطغى الماء والتقت الأمة على أمر قد قدر .. التقت على حقيقة وضع مدينة القدس الشريف التي ستغرق في

لجتها كل أنواع الفلسفة السياسية السفسطائية المشلولة ؛ المخالفة لمنطق التاريخ وحقوق الشعوب التي لا تُنتزع بذل التسليم الغرناطي ولكن بعز الجهاد الأيوبي !! .

القدس ما زالت وللأسف الشديد بعد ثلاثين عاماً تحترق .. صبت عليها لجنة القدس ومنظمات العالم الإسلامي شيئاً من فائضها البترولي ، وتركتها الجامعة العربية وتحالفات دول الجوار والطوق ، في العراء وحدها مع الصابرين المحتسبين من أبنائها يدفعون عنها الأذى بأموالهم وأنفسهم ، بالكفاح المسلح تارة ، والانتفاضة الشعبية تارة أخرى ، والرباط والمرابطة الواعية الجبارة في كل حين ، وبين " أغادير " ، و " القاهرة " يجري الآن الفصل الأخير من مسرحية تعليب وبيع الفكرة القديمة المعروفة للقاصي والداني وهي تدويل القدس الشريف بله تدويل جزء من الأقصى المبارك ، وربما تسليمه للفاتيكان ليبسط سيطرته عليه ، ويمنح المسلمين حق ممارسة شعائرهم الدينية فيه بكرم فاتيكاني خاص شهدنا عنه نماذج مشرفة في كل من البوسنة وكوسوفا !!! .

إن « القدس » ملك لأبناء الأمة كلها مسلمين وغير مسلمين ، ولفئات الشعب كلهم عرباً كانوا أو أمازيغ أم أكراداً أم

بلقاناً ، وقضية كبيرة ثقيلة مفصلة على قياس أمة يجب أن تتناوب فيها الأجيال حمل الأمانات ، فإن عجز جيل أو تخلى أو تحالف مع حكامه بالصمت والتمرير والطأطأة والتبرير ، فإن من واجب الأجيال القادمة أن تحمل هذه الأمانة التي عجزنا اليوم عن حملها بسبب الخوف والوهن حيناً ، وترك الجهاد بكل أشكاله حيناً آخر ، وإنه لمن الظلم الفاحش أن نتهم حكامنا بالتقصير والخيانة بينما نحن أفدح ظلماً منهم وأشد خيانة .. نحن شعوب النوم على الذل ، والسكوت على الهوان ، والتمسك بحياة لا كرامة فيها ولا عزة ولا صوت ولا دور .. شعوب التقوقع على الأخطاء ، والعجز عن النمو ، والارتكاس إلى نمط حياة لا يتمتع فيها المرء بحرية ولا بقانون، ولا ينضبط إلا بأعراف القبيلة !! إنه الوهن الذي أصاب الناس بمقتل .. وإنها لأمة فقدت مبرر وجودها ، والإطار الذي يمكن له أن يوحد صفوفها ، ويجمع شمل كل فئاتها لاستئناف معارك الكرامة .. التي يتم من خلالها الفصل في نتائج الحروب .